العبادة ثم وصف هذه الاصنام بصفات فقال تعالى والذين يدعون من دون الله يعني الاصنام يدعونها
من دون الله لا يخلقون شيا وهم يخلقون فان قلت قوله في الاية المتقدمة افمن يخلق كمن لا يخلق
تدل على ان هذه الاصنام التي يدعونها الهة من دون الله لا تخلق شيا وقوله هنا لا يخلقون شيا وهم يخلقون
وهذا هو نفس المعنى المذكور في الاية المتقدمة قلت ان المذكور في الاية المتقدمة انهم لا يخلقون
شيا فقط والمذكور في هذه الاية انهم لا يخلقون شيا وانهم مخلوقون لغيرهم وكان هذا زيادة في المعنى وهو
فايدة التكرار اموات اي جمادات ميتة لا حياة فيها غير احيا يعني كغيرها والمعنى لو كانت هذه الاصنام
الهة كما تزعمون لكانت احيا غير جايز عليها الموت لان الاله الذي يستحق ان تعبده هو الاله الحي الذي لا يموت
ولما كانت هذه اموات غير احيا فلا تستحق العبادة فمن عبدها فقد وضع العبادة في غير موضعها وقوله
وما يشعرون يعني هذه الاصنام ايان يبعثون وفيه دليل على ان الاصنام يجعل فيها الحياة وتبعث يوم
القيمة حتى تتبرا من عابدها وقيل معناه ما يدري الكفار الذين عبدوا الاصنام متى يبعثون قوله تعالى
الهكم اله واحد يعني الذي يستحق العبادة هو اله واحد وهذه اصنام متعددة فكيف تستحق العبادة
فالذين لا يؤمنون بالاخرة قلوبهم منكرة يعني جاحدة لهذا المعنى وهم مستكبرون يعني عن اتباع الحق
لان الحق اذا تبين كان تركه تكبرا لا جرم يعني حقا ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون انه عليم بذات الصدور
يعني عن اتباع الحق عن ابن مسعود رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة من كان
في قلبه مثقال ذرة من كبر فقال رجل ان الرجل يحب ان يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة قال ان الله جميل
يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس قوله بطر الحق هو ان يجعل ما جعله الله حقا من توحيده وعبادته باطلا
وهذا على قول من جعل اصل البطر من الباطل ومن جعله من الحيرة فمعناه يتحير عند سماع الحق فلا يقبله وقوله
وغمط الناس يقال غمطت حق فلان اذا احتقرته ولم تره شيا وكذا معنى غمصته اذا انتقصته به وازدريته
قوله عز وجل واذا قيل لهم يعني لهولاء الذين لا يؤمنون بالاخرة وهم كفار مكة الذين اقتسموا عقابها
وطرقها اذا سالهم الحاج الذين يقدمون عليهم ماذا انزل ربكم قالوا اساطير الاولين يعني احاديثهم
واباطيلهم ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيامة اللام في ليحملوا لام العاقبة وذلك انهم لما وصفوا القران
بكونه اساطير الاولين كان عاقبتهم بذلك ان يحملوا اوزارهم يعني ذنوب انفسهم وانما قال كاملة لان البلايا
التي اصابتهم في الدنيا واعمال البر التي عملوها في الدنيا لا تكفر عنهم يوم القيامة بل يعاقبون بكل اوزارهم
قال الامام فخر الدين الرازي وهذا يدل على انه تعالى قد يسقط بعض العقاب عن المومنين اذ لو كان هذا
المعنى حاصلا في حق الكل لم يكن للتخصيص بهولا الكفار بهذا التكميل فايدة قوله تعالى ومن اوزار
الذين يضلونهم بغير علم يعني ويحمل الروسا الذين يضلون غيرهم ويصدونهم عن الايمان مثل وزر
الاتباع والسبب فيه ما روي عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من دعى الى هدى كان له
من الاجر مثل اجور من تبعه لا ينقص ذلك من اجورهم شيا ومن دعى الى ضلالة كان عليه من الاثم مثل اثام
من تبعه لا ينقص ذلك من اثامهم شيا اخرجه مسلم ومعنى الاية والحديث ان الرئيس والكبير اذا سن
سنة حسنة او سنة قبيحة فتبعه عليها جماعة فعملوا بها فان الله تعالى يعظم ثوابه وعقابه حتى يكون
ذلك الثواب والعقاب مساويا لكل ما يستحقه كل واحد من الاتباع الذين عملوا بالسنة الحسنة او
القبيحة وليس المراد ان الله تعالى يوصل جميع الثواب والعقاب الذي يستحقه الاتباع الى الروسا لان
ذلك ليس بعدل الله ويدل عليه قوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى وقوله تعالى وان ليس للانسان الا

ماسعى

ماسعى قال الواحدي ولفظة من في قوله ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم ليست للتبعيض لانها لو كانت
للتبعيض لنقص عن الاتباع بعض الاوزار وذلك غير جايز لقوله عليه الصلاة والسلام لا ينقص ذلك من اثامهم
شيا ولكنها للجنس اي ليحملوا من جنس اوزار الاتباع فقوله بغير علم يعني ان الروسا انما يقدمون على اضلال غيرهم
بغير علم بما يستحقونه من العقاب على ذلك الاضلال بل يقدمون عليه لكن جهلا منهم بما يستحقونه من العذاب
الشديد الا ساء ما يزرون يعني الا بيس ما يحملون ففيه وعيد وتهديد لهم قوله تعالى قد مكر الذين من قبلهم
يعني من قبل كفار قريش وهو نمرود بن كنعان الجبار وكان اكبر ملوك الارض في زمن ابراهيم عليه السلام
وكان من مكره انه بنى صرحا ببابل ليصعد الى السما ويقاتل اهلها في زعمه قال ابن عباس وكان طول الصرح
في السما خمسة الاف ذراع وقال كعب كان طوله فرسخين فهبت ريح فقصفته والقت راسه في البحر وخر عليهم
الباقي فاهلكهم وهم تحته ولما سقط تبلبلت السنة الناس من الفزع فتكلموا يومئذ بثلاث وسبعين لسانا
فلذلك سميت بابل وكان لسان الناس قبل ذلك السريانية قلت هكذا ذكره البغوي وفي هذا نظر لان صالحا
عليه السلام كان قبلهم وكان يتكلم بالعربية وكان اهل اليمن عرب منهم الذين نشا صالح بينهم وتعلم منهم
العربية وكان قبايل من العرب قديمة قبل ابراهيم مثل طسم وجديس وكل هولاء عرب تكلموا من قديم
الزمان بالعربية ويدل على صحة هذا قوله ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى والله اعلم وقيل حمل قوله قد مكر الذين
من قبلهم على العموم اولى فتكون الاية عامة في جميع الماكرين المبطلين الذين يحاولون الحاق الضرر والمكر بالغير قوله
تعالى فاتى الله بنيانهم من القواعد يعني قصد تخريب بنيانهم من اصوله وذلك بان اتاهم ريح فقصفت بنيانهم من اعلاه
واتاهم بزلازل فقلعت بنيانهم من قواعده واساسه هذا اذا حملت تفسير الاية على القول الاول وهو ظاهر اللفظ
وان حملنا تفسير الاية على القول الثاني وهو حملها على العموم كان المعنى انهم لما رتبوا منصوبات ليمكروا بها على انبيا
الله واهل الحق من عباده فاهلكهم الله تعالى وجعل هلاكهم مثل هلاك قوم بنوا بنيانا وثيقا شديدا ودعموه
بالاساطين فانهدم ذلك البنيان وسقط فاهلكهم فهو مثل ضربه الله تعالى لمن مكر باخر فاهلكه الله بمكره ومنه
المثل السائر على السنة الناس من حفر لاخيه بيرا وقعه الله فيه قوله تعالى فخر عليهم السقف من فوقهم يعني سقط
عليهم السقف فاهلكهم وقوله من فوقهم للتاكيد لان السقف لا يخر الا من فوقهم وقيل يحتمل انهم لم يكونوا تحت
السقف عند سقوطه فلما قال من فوقهم علم انهم كانوا تحته وانه لما خر عليهم اهلكهم وماتوا تحته واتاهم العذاب
من حيث لا يشعرون يعني في مامنهم وذلك انهم لما اعتمدوا على قوة بنيانهم وشدته كان ذلك البنيان سبب
هلاكهم ثم يوم القيمة يخزيهم يعني يهينهم بالعذاب فحصل لهم في الدنيا والخزي في الاخرة لان الخزي هو
العذاب مع الهوان ويقول يعني ويقول الله لهم اين شركاي يعني في زعمكم واعتقادكم الذين كنتم تشاقون
فيهم يعني كنتم تعادون وتخالفون المومنين وتخلفونهم في شانهم لان المشاقة عبارة عن كون كل
واحد من الخصمين في شق غير شق صاحبه والمعنى ما لهم لا يحضرون معكم ليدفعوا عنكم ما نزل بكم من
العذاب والهوان قال الذين اوتوا العلم يعني المومنين وقيل الملايكة ان الخزي يعني الهوان اليوم يعني
في هذا اليوم وهو يوم القيامة والسوء يعني العذاب على الكافرين وانما يقول المومنون هذا يوم القيامة
لان الكفار كانوا يستهزئون بالمومنين في الدنيا وينكرون عليهم احوالهم فاذا كان يوم القيامة ظهر اهل
الحق واكرموا بانواع الكرامات واهين اهل الباطل وعذبوا بانواع العذاب فعند ذلك يقول المومنون
الخزي اليوم والسوء على الكافرين وفايدة هذا القول اظهار الشماتة بهم فتكون اعظم في الهوان والخزي قوله
تعالى الذين تتوفاهم الملايكة ظالمي انفسهم تقبض ارواحهم الملايكة وهو ملك الموت واعوانه وهم ظالمي

Copyright © King Saud University